

عبد الهادي الفضلي

مشكلة الفقر

دار النشر

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

عبد الهادي الفضلي

مشكلة الفقر

وزارة الشؤون
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

الطبعة الثالثة

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الطبعة الرابعة

حقوق الطبع محفوظة للناسر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

وبعد :

قبين يدي القارئ الكريم دراسة مختصرة لمشكلة الفقر ،
غرته على اعدادها في أوائل الستينات يوم كنت اواصل
دراسة بكالوريوس اللغة العربية والعلوم الاسلامية بكلية الفقه
في العراق ، وكنا - نحن المسلمين - نعاني آنذاك من مضاعفات
الغزو الشيوعي الفكري .

وأردت بها أن أسام في ملء الفراغ العقائدي الذي كانت
تميشه ذهنيات اكثرنا ، مما هيا للافكار الدخيلة أن تحاول
دخول معترك الصراع مع حضارتنا الاسلامية ، ولكنها باءت
بالفشل - والحمد لله - وذلك بفضل جهود الدعاة المخلصين من
حلة الاقلام المسلمة المجاهدة .

كما قصدت بها أن أضيف إلى المكتبة الإسلامية والعربية.
سفرًا متواضعًا قد يشارك في إعادة بناء الفكر الإسلامي
في إطار من الأصالة والمعاصرة .

وقد أعيد طبع الكتاب بشيء يسير من التفتيح والزيادة
بعد مرور وقت قصير على تاريخ الطبعة الأولى منه .

والآن وقد قدر له أن يعاد طبعه ثالثة هذبت فيه قليلا
وأضفت إليه قليلا - في حدود ما سمحت به الفرصة -
وصنفته إلى : تمهيد وفصلين وخاتمة .

١ - التمهيد : عرفت فيه بالمشكلة تعريفاً عاماً .

٢ - الفصل الأول : ضمنته عرضاً لأهم عوامل نشوء
المشكلة اقتصادياً .

٣ - الفصل الثاني : استعرضت فيه طرق علاج المشكلة
والوقاية منها .

٤ - الخاتمة : اشتملت على خلاصة الموضوع ونتائج
البحث .

وكنت قد رجعت في استقاء مادته إلى الفقه الإسلامي :
مصادر واحكاماً ، وإلى يسير من كتب الاقتصاد مستهدياً بها
في التعريف بمصطلحاته ونظرياته التي أدخلتها في هذه الدراسة
وسرت في تدوين البحث منهجاً استقرائياً يعتمد النصوص
والنقول أساساً في الوصول إلى النتيجة .

وكنت قد قللت من ذكر المصادر والمراجع في الهوامش

مراعاة للاختصار وبخاصة مصادر الاحاديث لأن ما نقلته
منها هو من المشهور السائر .

وأخيراً ، هي محاولة لأن أرسم من خلال هذا البحث
ونتائجه أجلى معالم التشريع الاسلامي في الوقوف أمام هذه
المشكلة ، ورجائي أن أكون قد وفقت فيها .

ودعائي اليه تعالى أن ينفع بها ويثيب عليها ، انه ولي
التوفيق وهو الغاية .

عبد الهادي الفضلي

القاهرة ١٥/٨/١٣٩٥

٢٢/٨/١٩٧٥

التمهيد

- مشكلة الفقر
- اضرارها
- مقاومتها
- اسبابها في المجتمع الاسلامي
- المذاهب الاقتصادية المعاصرة

مشكلة الفقر :

لم يعد خفياً ان (مشكلة الفقر) أو قل « مشكلة الفقر والغنى » من أهم المشاكل الاجتماعية ومن أخطرها أثراً في تأخر الأمم وانحطاطها ، وأقسامها مفعولاً في تدهور المجتمعات وانهيارها .

فقد كانت مشكلة الانسان المعذب منذ المديات التاريخية البعيدة .. وبقيت مشكلته حتى اليوم .. وظني انها ستبقى مشكلته المعقدة والمستعصية حتى الغد البعيد ، وسأوضح هذا موجزاً على ضوء ما قرأته من فلسفة للفقر في الفكر الغربي وغيره وفي حدود ما وضع أو شرع من حلول .

اضرارها :

ولم يعد خفياً ان للفقر أضراراً ، واضراراً عانت الانسانية المعذبة من ويلاتها الشيء الكثير ، فقد اثبتت التجارب التاريخية القاسية التي عاشتها البشرية المكرومة منذ عهدها البعيد والسحيق في البعد حتى اليوم : ان الفقر من أهم أسباب ومناشئ :

- ١ - انتشار الظلم الاجتماعي .
- ٢ - شيوع القلق الاجتماعي .
- ٣ - التركيز الثروي للطبقة المتمولة من أحبار النة .
والسيطرة على حساب الطبقات المستضعفة من الفقراء
والحرورمين .
- ٤ - انتشار الأمراض الجسيمة والعقلية والنفسانية .
- ٥ - التخلف الحضاري والمدني .
- ٦ - التحلل الخلقي من أجل الحصول على المال للمعيشة
والإبقاء على الحياة .
- ٧ - تفشي الامية والجهل .
- ٨ - زرع الحقد والكراهية للمجتمع في نفوس الحرورمين.
وأمثالها من الأضرار التي أصبحت من الوضوح بحيث
لا تحتاج الى زيادة بيان والتي عادت معرفتها تملأ أذهان
الجميع .

مقاومتها :

وبما انها مشكلة الانسان الاجتماعية الخطيرة وقف المفكرون
والمصلحون والثوار منها موقف الصراع المنيف ، وموقف
المقاومة الصارمة ، فوضعوا مختلف الحلول وشرعوا الوان
الأنظمة ، وقاموا بشق الثورات ، لحل عقدها حلاً تاماً او
التخفيف من وقعها على الأقل .
وكان بدء المقاومة قديماً قدم شعور الانسان بإنسانيته

وبمسؤولية المحافظة عليها .. الا انه فيما يبدو لم تكن تلكم
المقاومات على اساس ان الفقر مشكلة اجتماعية .. وانما
اتخذت المقاومة هذا الطابع (أي مقاومة الفقر على أساس
انه مشكلة اجتماعية) منذ بداية الدعوة الاسلامية التي كشفت :
(ان الفقر والفتى مشكلة اجتماعية خطيرة) والتي نظرت الى
المشكلة (على أساس أفعالها الاجتماعية) ، والتي فلسفت
الفقر فلسفة اجتماعية على لسان الامام علي عليه السلام بكلمتيه
المأثورتين : (ما جاع فقير إلا بما متع به غني) وما رأيت
نعمة موفورة إلا والى جانبها حق مضيع ،^(١) الكلمتين اللتين
توضحان لنا واقع المسألة وانها مشكلة اجتماعية .

وكانت بداية هذا النوع من المقاومة في الحركات السياسية
القريبة منذ (الثورة الفرنسية) فقد « كانت في صميمها ثورة
اجتماعية اقتصادية قبل أن تكون حركة سياسية » ، ومنذ ذلك
الحين « حاول الفقراء من صناع وفلاحين وصعاليك وسائر
الذين ابتلوا بقلّة الدخل وضيق ذات اليد ان يصدعوا أغلال
الفقر ، ويطردوا شبح الحاجة »^(٢) .

وكانت تلكم المقاومات - ما عدا المقاومة الاسلامية فان

(١) يقرأ : محمد المهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة (النجف
المطبعة العلمية ١٣٧٦ هـ) ص : ٢٩ .

(٢) يلاحظ : علي أدهم ، الاشتراكية والشيوعية (القاهرة : المكتبة
الثقافية ، العدد الثاني السنة الاولى ١٩٦٠) ، ص : ٣ .

لها اسلوبها الذي سأشرحه في هذا الحديث - كانت تتخذ اسلوب الفكرة النظرية في بعضها ، واسلوب الثورة المسلحة في بعض ، واسلوب التدرج في غيرها .

وفي جميع تلك الاساليب وغيرها لم يستطع القائلون بها القضاء على الفقر قضاء تاماً ، كما هو الحال في أغلب مجتمعات العالم اليوم أو كلها .. أو أنهم استطاعوا أن يخففوا من حدته ووقعه من جانب ، بيد أنهم وقعوا من جراء مقاومتهم للفقر نتيجة أساليبهم التي انتهجوها في مفارقات واضرار أخرى من جانب آخر كما هي الحالة في بعض المجتمعات المتحضرة . وتمثلت أساليب مقاومة الفقر في البلدان الديمقراطية بما يأتي :

- ١ - رفع اجور العمال .
- ٢ - تقليل ساعات العمل .
- ٣ - إيجاد احوال ملائمة لصحة العمال ووقايتهم من الامراض .
- ٤ - سن قوانين تنظم علاقات العمال باصحاب الشركات ورؤوس الأموال تنظيمياً يرفع عنهم الغبن والاجعاف ويصون حقوقهم .
- ٥ - تأليف جمعيات تعاونية لتيسير حياتهم المادية وتهوين تكاليفها عليهم .
- ٦ - انشاء مصارف للتوفير حتى يصبحوا من صفار الملاك وأصحاب المصالح الاقتصادية .

- ٧ - تأسيس جمعيات تقوم ببناء مساكن مناسبة لهم .
 ٨ - فرض ضرائب تساعد على تقريب مسافة الخلف بين
 الاغنياء والفقراء .
 ٩ - تعميم التعليم ومجانته .
 ١٠ - ايجاد معاش للعمال في شيخوختهم .
 ١١ - اتاحة الفرص لجميع الطبقات .
 ١٢ - تحسين البيئة وايجاد الضمانات الكافية لتأمين حياة
 العمال .
 ١٣ - تنظيم الصناعة .
 ١٤ - توسيع الملكية الصغيرة (١) .

« وقد قلل هذا العلاج سطوة الفقر ، وأنقذ الكثيرين من
 اثن الحاجة وأنياب البؤس ، ولكن الفقر مع ذلك لا يزال
 باقياً ، وقد لظفت دواعي الاصلاح من عدم المساواة وقربت
 ما بين الطبقات ، ولكن التفاوت برغم ذلك لا يزال موجوداً ،
 والمشكلة الآن في البلاد الديمقراطية هي : هل يكفي السير
 في الطريق الذي وصف واتباع الأساليب التي ذكرت والتوسع
 فيها لتحسين الاحوال وعلاج الحالة وازالة أسباب النعمة
 وبواعث القلق ؟ أو أن الأمر يستلزم اتخاذ أساليب اخرى
 أقوى وأعنف وأبلغ اثرأ ، (٢) .

(١) و (٢) علي ادم ، م . ن ، ص ١٣ ، ١٤ .

وقد قام الشيوعيون بتجربة شاملة وواسعة في بلدان
الاتحاد السوفياتي ، وأرتنا الأحداث المتكررة التي وقعت
عندهم كيف أن الأيران الضاري يفترس الضعيف
فعرفنا الحرية ستاراً يشف عن الرق في أكبر صورة وأفظعها،
وشاهدنا الدعاوي مملوءة بالصديد والحداع. وأبصرنا الاستنكار
من أجل الانسانية المظلومة يضغط بالحديد والعنف :

« لا تقولوا حرية لشعوب هي رق ولفظها مستعمار
اتركوا للضعيف كسب يديه ان صدقتم بأنكم أحرار » (١)
وفي عقيدتي : ان هذه المفارقات وغيرها كانت نتيجة
التأكيد على الفرد - كما في البلدان الرأسمالية - او نتيجة
التأكيد على الجماعة (أو المجتمع) - كما في البلدان
الاشتراكية - أكثر من التأكيد على الطرف الآخر .. لان
التأكيد على الفرد أكثر ينتج بطبيعته الطبقية الواسعة ، ويولد
الامتيازات والفوارق غير الطبيعية مما يكون أقوى معط
للظلم الاجتماعي .

ولان التأكيد على المجتمع واهمال التأكيد على الفرد مما
يشل ملكة الابداع في الأفراد ويشير أحقاد بعضهم على بعض ،
وربما كان الحديث الكريم يشير اليه : « لا يزال الناس بخير
ما تفاضلوا فان تساوا هلكوا » (٢) .

(١) محمد أمين زين الدين ، أدالي الحياة (النجف : مخطوطة المؤلف) .
(٢) يقرأ : محمد تقي الحكيم ، « الاسلام يضع الحواجز دون تضخم
الثروات غير المشروعة » ، مجلة النجف ، ١٦ « ١٨ / ٢ / ١٩٦٠ » ص ١١ و ١٢

والذي أظنه : ان المشكلة ستبقى مستعصية ما دامت حلولها وعلاجاتها تنحاز الى الافراط أو التفريط.. الى المساواة أو الطبقيية .. الى التأكيد على الفرد أكثر أو التأكيد على الجماعة أكثر .

إذن . . . فالحل الناجح هو وضع التأكيد في الأحوال والوضعيات الاختيارية على الجانبين معاً (الفرد والمجتمع) كما هي الطريقة المتبعة في الاسلام .
وأخيراً : قصدت من هذه النظرة الحافظة حول مشكلة الفقر في العالم ان امهد بها للحديث عن المشكلة عند المسلمين لاخلص منه الى علاج الاسلام لمشكلة الفقر .

اسبابها في المجتمع الاسلامي :

أما المسلمون !

فالحديث عن الواقع الذي يجيونه اليوم شجون وشجون . .
والمرض لهذا الواقع السيء المؤلم مأساة اخرى تضاف الى مآسيه .. أجواء تزدحم بالمشاكل المعقدة وحياة معذبة ، مفعمة بالمآسي والارزاء والحزن .

وفي عقيدتي : ان أهم المشاكل التي يعاني المسلمون ويلاتها وشروورها ، وينوون بأعبائها الثقيلة ، هما : (مشكلتنا الجهل والفقر) ، وعنهما تفرعت أكثر المشاكل الاخرى ، كمشكلة التقليد الأعمى للمدنيات المستوردة ، ومشكلة التأثر بالحضارات الوافدة التي تتنافى ومبدأ الاسلام ، وما مائلهما .

وهنا قد يتساءل :

كيف نشأت هذه المشاكل ؟.. وما هي أسبابها ... وما هي العوامل التي ساعدت على استمرارها وتطورها الى هذا التعقيد الشديد ؟..

وما هو الحل الذي يلزم المسلمين الأخذ به ؟.. يبدو لي : انها نشأت في المجتمع المسلم منذ ان بعد المسلمون عن العمل بالاسلام ... وتعمقت حين اتسمت مسافة الرجوع عن الاسلام ، وساعد على تعقيدها فقدان المسلمين الشعور بالمسؤولية ، واندفاعهم أذلاء وراء المبادئ والنظم الموضوعية ، وتبدهم احزاباً متباينة متضاربة ، جعلتهم نهزة الطامع ، ومرقع المستغل ، والعوبة المستعمر ، ودمية الواغل ، وذهنية الطفل يلاؤها المستعبدون بصديد السياسة الكافرة ، لتمكس الاسلام من واقعهم المحشود بالمفارقات والنقائض صوراً شتى ، والواناً مختلفة ، تبذرهما في النفوس عقيدة (حرة) - كما تدعي - وتفلقلها الى الأعماق كما تريد ، وكما يشاء لها الاستعمار والاستغلال لتسيطر على هذا القطيع الضال .. فمرة : الدين عقيدة فقط ، وثارة : الدين تعبد فحسب ، وثالثة : هو مفاهيم رجعية لا تصلح لمجتمع متحضر متقدم ، ورابعة : هو خلق فاضل لا غير ، وخامسة .. وسادسة .. وهكذا ..

وللسياسة المستغلة في تشويه الحقائق مسارب ملتوية ، وطرائق مظلمة وايدولوجيات متلوننة متقلبة ، يعرفها من

يفتح عينيه في النور ، وينظر في الصحو ، ويعمل في الصفاء .
أما حل هذه المشاكل الذي يلزم المسلمين أن يأخذوا به .
فهو ان نعود الى الاسلام من جديد ، ونعمل وفق تعاليمه ،
ونمثل أحكامه .

المذاهب الاقتصادية المعاصرة :

ومما تقدم ندرك ان النظم الاقتصادية التي نظرت الى الفقر
كمشكلة اجتماعية وعالجته من هذا المنطلق ، هي الاسلام
والرأسمالية والاشتراكية ، وهي المذاهب الاقتصادية المعاصرة .
ولكل مذهب من تلكم المذاهب الثلاثة اسس عامة
يعتمدها ويشيد عليها جميع بنياته الفوقية ، ومنها تنبثق
افكاره ، ومنها تتفرع نظرياته .

وبغية ان نلمس الفروق الجوهرية بين هذه المذاهب نعرض
سلسلها المشار اليها مع قليل من المقارنة .

فالرأسمالية تضع كل اهتمامها على الفرد ، في الوقت الذي
ينصب تأكيد الاشتراكية كله على المجتمع ، اما الاسلام فيؤكد
على الفرد والمجتمع ويمادل بينهما .

وطبيعة الاقتصاد في الرأسمالية حر لان نظام الحكم
في النظام الرأسمالي ديمقراطي يقوم على أساس من اطلاق
الحرية ، وفي الاشتراكية موجه لان نظام الحكم فيها
دكتاتوري يقوم على أساس من سلطة الطبقة العاملة
(البروليتاريا) .

ومن هنا وقعت الرأسمالية في مفارقة تضحيتهما بالمعادلة

الاجتماعية لحساب الفرد ، ووقعت الاشتراكية في مفارقة
الغائها قيمة الفرد لاجل السوثة .

وجود المفارقة في كل منهما شيء حتمي لان كل منهما
نشأ كرد فعل للظروف السائدة في مجتمعه حين انبثاقه .

أما الاسلام فهو نظام الهي لان الحكيم فيه الله تعالى (ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون)^(١) .. ويقوم تطبيقه
على اختيار المسؤول الذي تتوفر فيه العدالة والكفاءة .

ويعتمد الاقتصاد في الاسلام على قاعدة ان المال مال الله
تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم)^(٢) ، وقاعدة ان
الانسان مستخلف فيه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)^(٣) .

ومن هنا رأينا الاسلام يقر الملكيات الثلاث (ملكية
الفرد و ملكية المجتمع و ملكية الدولة) معادلاً وموازناً بينها
بحيث لا يطفئ بعضها على بعض ، ولا تلغى احداها لاجل
الآخرى .

ولهذا كان الرجوع الى الاقتصاد الاسلامي في التماس الحلول
لمشكلة الفقر أمراً طبيعياً لأن الأخذ بمعالجته للمشكلة يبعدها
عما وقع فيه النظامان الآخران من مفارقات .

(١) الآية ٤٥ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٣٧ من سورة النور .

(٣) الآية ٧ من سورة الحديد .

الفصل الأول

عوامل مشكلة الفقر

- قلة الانتاج
- سوء التوزيع

وهنا .. وقبل أن استعرض حلول الاسلام لمشكلة الفقراء
أراني أمام تساؤل يلزمني منهج البحث ان اجيب عليه لأربط
بين حلقات الموضوع ولأبدأ من الجذور للمشكلة .. وهو : -
ما هي مناشيء المشكلة ؟ .. وما العوامل التي أدت أو
تؤدي اليها ؟ ..

وهنا .. للإجابة على هذا السؤال الخطير اجابة واقعية
علي ان استمد الجواب من واقع الحياة .. واقع المجتمع
الفقير .. واقع للطبقة الفقيرة .. واقع الفرد الفقير ...

ان ما المسه في واقع الحياة افراداً وجماعات : هو ان
منشأ المشكلة أحد عاملين مهمين هما : -

(قلة الانتاج) أو (سوء التوزيع) ..

قلة الانتاج :

واعني بالانتاج - هما - معنيين : -

المعنى الأول : (الانتاج الاقتصادي) وهو ما يعرف بأنه
(الجهد الذي يبذله الانسان بالتعاون مع القوة المنبعثة من

الطبيعية لخلق المنفعة أو زيادتها^(١) والذي (يطلق على كل عملية يترتب عليها انشاء منفعة اقتصادية في ثروة ما عن غير طريق استبدالها بثروة اخرى)^(٢) .

ولعله لذلك يختصر بعضهم تعريفه بهذه العبارة :
(الانتاج : هو خلق المنفعة او زيادتها)^(٣) ..

وعليه يمكن أن يلخص الانتاج بالعمليات الآتية : -

١ - استخراج المواد والأشياء النافعة من خزائن الطبيعة .

٢ - تغيير شكل هذه المواد و الأشياء الى اشكال صالحة للاستعمال ، او اعادة تنظيمها .

٣ - نقل هذه المواد أو الأشياء من المحل الذي تتوفر فيه الى المكان الذي تقل فيه .. وهو ما يعبر عنه بـ (تغيير مكان السلع) .

٤ - حفظها وادخارها في زمان كثرتها واخراجها الى السوق في أوان ندرتها ، وبعبارة اوضح وأخصر : حفظ

(١) ابراهيم عبد العزيز بيثون وحسن محمد ربيع ، مبادئ علم الاقتصاد ص : ٨ .

(٢) الدكتور علي عبد الواحد رافي ، الاقتصاد السياسي ، (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٩٣٩) ص : ٧٤ .

(٣) صبري محمد حسن وعطا مكي وفاضل الحجاز ، الاقتصاد السياسي (بغداد : مطبعة المعارف ١٣٧٩ هـ) ١ : ٢٦ .

- السلع الى الوقت المناسب الذي تكثر فيه الحاجات اليها (١) .
وبجمال وكيفية هذه العمليات والذي يسمى بـ (عناصر
الانتاج) ويعبر عنه أيضاً بـ (عوامل الانتاج) (٢) هي : -
١ - الطبيعة : (ويقصدون بها : الأرض نفسها وبيئتها
وما بها من قوى ، وما يشتمل عليه سطحها وباطنها
وجوها من مواد حيوانية كانت أم جمادية ، صلبة
كانت أم سائلة أم غازية) .
٢ - العمل : ويعنون به (الجهود الجسمية والعقلية التي
يجريها الانسان على الأشياء لينشيء بها منفعة جديدة
لم تكن موجودة من قبل) (٣) .
٣ - رأس المال : ويريدون منه (كل ثروة يستعين بها
الانسان في انتاج ثروة اخرى كمحراث الفلاح وآلة
النسيج) (٤) .

(١) راجع العظم ، علم الاقتصاد ، ص : ٥ وبيثون وربيع ، مبادئ
الاقتصاد ص : ٨ .

(٢) لعل التسمية الاولى (عناصر الانتاج) أقرب انطباقاً على الامور
المذكورة من التسمية الثانية (عوامل الانتاج) لأن الطبيعة ورأس المال من
ميادين العمل ولأن التنظيم من مستلزمات العمل المنتج فـ (العمل وحده هو
الذي يصح عده عاملاً من عوامل الانتاج بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة لانه
هو الذي يقوم بالعمليات التي يترتب عليها انشاء المنفعة) وهي الاربع
المذكورة .. انظر الاقتصاد السياسي للدكتور وافي ص : ٧٧ .

(٣) الدكتور وافي ص : ١٠٥ .

(٤) المصدر السابق ، ٧٦ - ٧٧ .

٤ - التنظيم : ويريدون منه : (تنظيم الانتاج : وهو التوفيق بين عوامل الانتاج المختلفة ووسائله على أحسن طريقة وأنفع أسلوب) (١) .

المعنى الثاني : (النتاج) وهو حصيلة وثمرة الانتاج .

اسباب قلة الانتاج :

أما عوامل قلة الانتاج فترجع الى السببين التاليين : -

١ - البطالة .

٢ - فقدان أو سوء تنظيم الانتاج .

والبطالة - وهي كما تفسر في اللغة بـ (التعطل والتفرغ

من العمل) (٢) - تقع غالباً لاسباب الآتية : -

١ - فقدان رغبة القادرين على العمل فيه (٣) رضي منهم

بemisهم الزهيد وبجياتهم الدانية ، كما هو واقع الكثير

(١) بيثون وربيع ، ص : ٢١ .

(٢) الاب اليسوعي ، المنجد (الطبعة التاسعة ، بيروت : المطبعة

الكاثوليكية ١٩٣٧ .) ، ص : ٣٩ .

(٣) الذي رأيتُه فيما بين يدي من كتب الاقتصاد عدم عددها فقد الرغبة

في العمل سبباً للبطالة لأنها ضمنت في تعريف البطالة رغبة العامل في العمل

على اعتبار انه شرط في تحقق البطالة ، فقد جاء في بعضها (البطالة ..

تعريفها : عدم توفر العمل للعامل وهو راغب فيه وقادر عليه ومتفق مع

استعداده) وبهذا تكون قد اغفلت هذا السبب المهم من أسباب حدوث

البطالة .

من المجتمعات البدائية ، وخاصة سكان الأهوار
والبوادي والجبال وما شاكل .. ولعلنا سنرى هذه
الظاهرة بينة في المجتمعات الاسلامية الاولى حين
أعرض النصوص في الموضوع وخاصة التي تحت على
العمل وترغب فيه .

٢ - قلة وسائل الانتاج التي توفر العمل للمقتدرين عليه
نتيجة اهمال الدولة أو اعوازها مادياً أو غيرها .

٣ - قلة وجود المال القادرين على العمل كالذي يحدث
في مجتمع يكثر فيه الأطفال والمرضى والمجانز نتيجة
طوارئ متلفة دمرت أكثر القوى العاملة من أبنائه .

أما سبب فقدان أو سوء تنظيم الانتاج فيرجع الى الدولة ..
لى مدى قيامها بمسؤوليتها في رعاية شؤون الامة .

سوء التوزيع :

واقصد بالتوزيع : (توزيع الثروة) و (هو تقسيم
الثروات بين الافراد وذلك [على اعتبار] ان لكل فرد من
افراد الامة نصيباً من ثروتها لا ينازعه فيه منازع .. والثروات
المستحدثة توزع على الافراد وفقاً لنظم خاصة (١) .

(١) الدكتور وافي ص : ٢٩ .

أسباب سوء التوزيع :

ويرجع عامل سوء التوزيع الى :

١ - انحراف النظام .

٢ - جور الحكومة .

أما كيف يكون سوء التوزيع منشأ مهماً للفقير !؟

فالجواب : لانه أهم عوامل تضخم وتكدس الثروات غير المشروعة لدى فئة خاصة من الناس تشرى على حساب العامة.. التضخم الذي هو بدوره أهم عامل في تكوين الطبقة الواسعة التي هي بدورها أيضاً من أهم منابع الفقر .

الفصل الثاني

حلول مشكلة الفقر في الاسلام

- طريقة الحل
- معالجة قلة الانتاج
- معالجة سوء التوزيع

طريقة الحل :

وهنا قد يتساءل ثانياً :

ما هي الطريقة التي يتبناها الاسلام في حل المشاكل؟!

والجواب :

- ان التشريع الاسلامي يصنف أحكامه الى قسمين : -
أ - ما يقوم بدور الوقاية من وقوع المشاكل ، ويلزم المسلم بالعمل بها قبل حدوث المشاكل ، وبعد ارتفاعها ..
ب - ما يقوم منها بدور العلاج بعد حدوث المشكلة ، ويلزم المسلم بالعمل بها عند وقوعها لتحل عقبتها .

وطريقته في العلاج : توخي مسالك العدل ، ومواقف الاستقامة في الحلول ، وفي نتائجها ، وابتعاده كثيراً عن وقوع أي ضرر نتيجة الحل .. هذه (مشكلة الفقر) - وهي من أهم المشاكل النفسية والاجتماعية - عالجها الاسلام علاجاً شافياً ، وحل عقبتها حلاً رقيقاً ، لم ينبجم عنه أي ضرر في جانب آخر من جوانب الحياة .

وقد حاولت ان أعرضها بأهم ملابساتها بشيء من الايجاز ، وأنا أعلم بأن هذا العرض ليس هو الصورة الكاملة لحل الاسلام

لمشكلة الفقر ، وانما هو ظلال وشعاع فقط ، أردت أن الفت
به نظر اخواني من المسلمين . والمعنيين بالمشكلة الاقتصادية
منهم خاصة ، إلى هذه الثروة القانونية الضخمة الرائعة ، وإلى
هذا الخير الوفير العميم ، ليفيدوا منه ... وربما كانت من
وسائل اثاره المختصين منهم الى معالجة هذا الموضوع معالجة
أعمق وأوفى من هذا الحديث .

وفي عقيدتي : ان البشرية لا بد وان ترجع الى الاسلام بعد
ان ترى فشلها الذريع في تطبيق مبادئها ونظمها ..

ولا بد ان تقول معنا آنذاك مؤمنة مصدقة : « ان هدى
الله هو الهدى » (١) و « ان الدين عند الله الاسلام » (٢)
« ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين » (٣) .

معالجة قلة الانتاج :

بعد ذلك العرض الموجز في تبين عوامل المشكلة نكون
مع الاسلام في استعراض حلوله للمشكلة .
ان طبيعة البحث تقتضي أن اعرض لمعالجة الاسلام لكل
من العاملين المذكورين (قلة الانتاج وسوء التوزيع) ، وان

(١) الآية ١٢٠ من سورة البقرة .
(٢) الآية ١٩ من سورة آل عمران .
(٣) الآية ٨٥ من سورة آل عمران .

أبدأ بعرض معالجته للبطالة لأنها الجذر الأساسي لقلة الانتاج
والتي منها تتولد جميع الأسباب لهذه القلة لنرى كيف
يقضي عليها :

١ - الحث على العمل :

بما ان الحث على العمل نوع من انواع التربية ، وقسم من
أهم أقسام برامجها ، والتربية من الوسائل الأولية للنظام
الاسلامي في ادوار الاعداد والتهيئة لتكوين شخصية الفرد
المسلم أو بناء المجتمع الاسلامي ، ذلك ان التربية هي الطريقة
المفضلة في تكوين الشخصية الناجحة وفي بناء المجتمع الفاضل ،
لأنها تغفل المبدأ في الجيل الجديد فتجمل منه طالماً يسمى
دؤوباً نحو التقدم ، ويسير حثيثاً الى الامام .. اتخذ الاسلام
نه وسيلة للقضاء على البطالة بتوجيه الأفراد الى الانتاج
والاستثمار ، ويدفعهم إلى العمل دفعاً ، عن طريق تقدير العمل
واحداث الرغبة في نفوسهم ، وطبعمهم على حبه تقديراً لقيمة
الانسانية وحفظاً لكرامتها المثلى ..

والنصوص في الموضوع كثيرة .. منها :

١ - هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه واليه النشور (١) .

(١) الآية ١٥ من سورة الملك .

- ٢ - فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله (١) .
- ٣ - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون .
- ٤ - أيها الناس ... عليكم بالعمل في النشاط والكسل .
- ٥ - اياكم والكسل ، فانه من كسل لم يؤد حق الله .
- ٦ - اياكم والتسوية في العمل ، بادروا به اذا أمكنكم ما كان لكم من رزق فسيأتيكم على ضعفكم .
- ٧ - اياك والكسل والضجر فانها يمنعانك من حفظك من الدنيا والآخرة .
- ٨ - اياك والكسل والضجر ، فانك ان كسلت لم تعمل وان ضجرت لم تعط الحق .
- ٩ - ولا تكسل عن معيشتك فتكون كلا على غيرك .
- ١٠ - اني لأبغض الرجل أن يكون كسلاناً في أمر دنياه .
- ١١ - ان الامور لما ازدوجت ازدوج الكسل والمعجز فنتجا بينهما الفقر .
- ١٢ - ان الله عز وجل - يبغض العبد النوام الفارغ .
- ١٣ - مملون من القى كله على الناس .
- ١٤ - اني لأجدني أمقت الرجل ليعتذر عليه المكاسب فيستلقي على قفاه ويقول : اللهم ارزقني ، ويدع ان ينتشر في الأرض ، ويلتمس من فضل الله .

(١) الآية ١٠ من سورة الجمعة .

(٢) الآية ٢٠ من سورة المزمل .

- ١٥ - ان الله يحب المحترف الأمين .
- ١٦ - اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً .
- ١٧ - ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه .
- ١٨ - عن المعلبي بن خنيس : قال : رأني أبو عبد الله الصادق عليه السلام وقد تأخرت عن السوق ، فقال : أغد الى عزك .
- ١٩ - عن أيوب : قال : كنا جلوساً عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذ أقبل (الملا بن كامل) فجلس قدام أبي عبد الله عليه السلام ، فقال : ادع الله ان يرزقني في دعة ، قال : لا ادعوك ، أطلب كما أمرك الله .
- ٢٠ - وما أحل لكم أكثر مما حرم عليكم ، فذرُوا ما قل كلما كثر ، وما ضاق لما اتسع ، فقد تكفل لكم بالرزق وامرتم بالعمل .
- وهنا أود أن اشير الى ظاهرة بيّنة في محتويات هذه النصوص الكريمة هي من أهم خصائص التشريع الاسلامي ، ومن اخطر أهداف التربية الاسلامية .. وهي : اشعار الانسان بقيمة الانسانية فيه ، ويجعله مسؤولاً عن الاحتفاظ بكرامتها العليا ، ما المحت اليه قبيل سطور .
- فهبي - اعني النصوص - تلمسه بغض الحياة للانسان العاطل لغير عذر وتريه ثقل عبثه على كاهلها ، وتعرّفه ما

ينسجم وطبيعة واقعه كأنسان وهو انه خلق ليكون عضواً
عاملاً في المجتمع وكأنناً حياً يعمر هذا الكوكب ليستفسد
ويفيد ، وليحفظ بقيمة انسانيته .

ونحن حين نتتبع أدوار أنظمة العمل والعمال عبر التاريخ
البشري ، ونتعرف على تطوراتها التاريخية من أجل اللقاء
الضوء أكثر على ظاهرة تقدير الاسلام للعمل وعنايته بالعمال
نجد ان الاسلام هو المبدأ الأول الذي سبق الى معرفة قيمة
العمل ، ومكانة العامل في المجتمع ، والى تعريف الناس بأن
العمل هو منبع الثروة وسند المجتمع ، وعمد الدولة في تقويم
كيانها ، وبأنه دحيرتها الدائمة ، وبأن العمال والمزارعين هم
الطاقات الأولى والمعظمى للحياة الاقتصادية ، والمورد الضخم
للدولة في رفع المستوى المعيشي لأبنائها
فقد كانت المجتمعات قبل الاسلام تعتبر العمل وظيفية
العميد ومهنة الطبقات السفلى في المجتمع ...

ورأي (افلاطون) المفكر اليوناني المشهور في قيمة العمل
وانه من خصائص طبقة العميد ، وانفة الأسياد والاعلياء في
المجتمعات الأخرى قبل الاسلام ، وقبيله مباشرة، ترينا مدى
احتقار العمل وانخفاض مكانة العمال في أنظار المفكرين
الاسبقين ، ما عدا (الانبياء - ع -) لأنهم الانسانيون بما
لهذه الكلمة من مفهوم ..

وسيرة النبي داود عليه السلام واتخاذ من صنع الدروع عملاً

ومن سفائف الخوص ما يتميش بأثمانها^(١) مما يدل واضحاً على
سمو نظرة النبوة الى قيمة العمل ، ومنزلة العمال .

(١) يقول الامام أمير المؤمنين (ع) : (وان شئت ثلثت بداود - صلى
الله عليه وسلم - صاحب الزامير ، وقارىء أهل الجنة ، فلقد كان يعمل
سفائف الخوص بيده ، ويقول لجلسائه : أيكم يكفيني بيها ؟ وبأكل قرص
الشعير من ثمنها) تراجع الخطبة (١٥٥) من نهج البلاغة .
وكان رسول الله (ص) يرعى الغنم لاهل مكة على قراريط وكان يرعى
غنم أهله باجباد (واد مما يلي الصفا) .

وفي حديث جابر بن عبدالله قال : كنا مع النبي (ص) نجني الكبش (ما
فضح من ثمر الأراك) ، فقال : - عليكم بالاسود منه فإنه أطيبه فاني كنت
أجنيه اذ كنت أرعى الغنم ، قلنا : وكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال :
وما من نبي الا وقد رعاها .

وروى عنه (ص) : بعث موسى (ع) ، وهو راعي غنم ، وبعثت وأنا
أرعى غنم أهلي باجباد .

وعلى غرار هذه السيرة الانسانية كان أئمة أهل البيت (ع) .. فقد روى
عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه : قال : رأيت أبا الحسن « الكاظم »
عليه السلام يعمل في ارض له وقد استنقعت قدمياه في العرق ، فقلت له :
جملت فذاك أين الرجال ؟ فقال : يا علي ، عمل باليد من هو خير مني ومن
أبي في أرضه . فقلت له : من هو ؟ فقال : رسول الله - صلى الله عليه وآله -
وأمر المؤمنين وآبائي - عليهم السلام - ، كلمهم قد عملوا بأيديهم وهو من
عمل النبيين والمرسلين والصالحين .

وروى عن الفضل بن أبي قررة : قال : دخلنا على أبي عبدالله (الصادق)
عليه السلام - وهو يعمل في حائط له ، فقلنا : جعلنا الله فداك ، دعنا
نعمل لك او تعمله الغلمان - قال : لا .. دعوني فاني اشتهي ان يراني الله
- عز وجل - اعمل بيدي وأطلب الحلال في أذي نفسي . ←

ونجد أيضاً ان الاسلام هو المبدأ الوحيد الذي سبق الى وضع نظام للعمل والعمال ، نظام متكامل شامل عادل ، حفلت كتب ومدونات الفقه الاسلامي باسسه .
النظام الذي لو طبق لانحلت جميع مشاكل العمل والعمال وبلغنا القمة في السعادة المنشودة ، ولما صرنا الى هذا المآل المذل حيث نستجدي النظم والمبادئ ، لعلنا نفيد منها الحل للمشكلة ، ولعلها تعطينا السعادة ، فنفضل .. ونرجع مرة اخرى نستجدي ونفضل ، وهكذا .
بهذا يعالج الاسلام المعطي الأول لانتشار البطالة .

٢ - توفير وسائل الانتاج :

اما المعطي الثاني لانتشار البطالة (وهو قلة وسائل الانتاج) فيعالجه الاسلام عن طريق الزام الدولة بتهيئة وسائل الانتاج .
وأقصد بوسائل الانتاج - هنا - كل ما يتطلبه الانتاج زراعياً كان أو صناعياً وما يتوقف عليه من عناصر وعوامل كالأرض وكالعمال والمصانع والمضخات ومختلف الأدوات والآلات ، وتهيئة الفرص واعداد المجالات للعمل بشق صنوفه وألوانه التي بها قوام الحياة المعيشية الطيبة ، وتقويم

— وعن أبي عمر الشيباني: قال: رأيت أبا عبد الله الصادق ويده مسحاة يهمل في حائظ له ، والمرق يتصبب، فقلت : جعلت فداك ، أعطني اكفك .
قال لي : اني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة .

الأفراد والمجتمعات عن طريق رفع مستوياتهم الاقتصادية .
ان طبيعة صيانة المجتمع ورعاية شؤون الأمة ومصالحها أو
بما هو أخصر : ان طبيعة العدالة الاجتماعية تقتضي الزام
الدولة واعتبارها مسؤولة عن تهيئة وتوفير وسائل الانتاج بكلا
نوعية الزراعي والصناعي ، وخاصة حين تكون الدولة هي
العدالة التي تمثل الأمة والتي تعنى بتنظيم حياتها العامة من أجل
اعطائها الخير فتحقيق السعادة لها ..

ويفاد من التشريع الاسلامي ان اعداد جميع ما يتوقف
عليه تنظيم المجتمع واستقامته التي تثمر السعادة وتمطي الحياة
الكريمة من عناصر وأسباب وكل الوسائل اجتماعية واقتصادية
وثقافية وغيرها ، والقيام به هو (فرض كفاية) على المسلمين
عامة .

وفي المجال الذي يعوز الأفراد أو يتقاعسون عن اداء هذا
الواجب الانساني المقدس ، فاللدولة هي المسؤولة والتي ينسب
بها كل الأمر في أمثال هذه الظروف .

ومن النصوص في الموضوع التي تعين مسؤولية الدولة ما
جاء في (عهد الامام للأشتر) .. يقول عليه السلام : -
« وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله ، فان في اصلاحه
وصلاحهم صلاحاً لمن سوامم ولا صلاح لمن سوامم الابهم ، لأن
الناس كلهم عيال على الخراج وأهله . »
بوصيه وبأمره أن يتفقد أهل الخراج بما يصلحهم من جميع

ما يحتاجونه في ذلك . والذي افهمه من معنى الخراج - في هذا السياق - مفهومه العام وهو (النتاج الاقتصادي) .

ويقول عليه السلام : (وليكن نذرنا في راحة الارض أبلى من نذرنا في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك الا بالعمارة) .

ويقول : « ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره الا قليلا » .. ما يؤكد المعنى أكثر وأوضح .

وفي بعض خطبه عليه السلام ما يرمي اليه ، يقول : « أها الناس : ان لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق ، فاما حقكم عليّ : فالنصيحة لكم ، وتوفير فينكم عليكم .. »

والفداء - كما يشرحه - هو : « الخراج وما يحويه بيت المال » (١) .

ومن الطبيعي ان توفير الفداء انما يكون بتهيئة مجالات العمل واعداد وسائله واحضار كل مستلزماته . وان الامام علي عليه السلام انما يقول هذا بصفته رئيس الدولة والحاكم العام فيها .

ومما يلقي الضوء على الموضوع ما يرويّه المؤرخون في حوادث عصر الامام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد : من ان

(١) الامام محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، الخطبة ٣٣ .

جماعة من بعض بلاد المسلمين حضروا عند الامام عليه السلام يرفعون اليه أن يكتب الي عامله عندهم بحفر نهر كان قد عفا ودرس لينتفعوا منه في سقيهم وزرعهم ولو بتسخيرهم مجاناً في عمل الحفر فأجابهم الامام عليه السلام الى ذلك غير انه لم يرض بتسخيرهم ولم يوافق ان يكون العمل اجبارياً ومن غير أجر فكتب الي عامله :

(أما بعد : فان قوماً من أهل عملك أتوني ، فذكروا ان لهم نهراً قد عفا ودرس ، وانهم ان حفروه واستخرجوه عمرت بلادهم وقووا على كل خراجهم ، وزاد في المسلمين قبلهم وسألوني الكتاب اليك ، لتأخذهم بمعمله وتجمعهم لحفروه والانفاق عليه ، ولست أرى ان اجبر احداً على عمل يكرهه ، فادعهم اليك ، فان كان الأمر في النهر على ما وصفوا ، فمن احب أن يعمل فسر به بالعمل ، والنهر لمن عمل دون من كرهه ، ولئن يعمروا أحب الي من ان يضعفوا ، والسلام) .

والملاحظ هنا ان أكثر تأكيد الامام عليه السلام كان منصباً على تهيئة وسائل الانتاج الزراعي وتحسينه مما يحفز على التساؤل - ولاسيما ونحن نعيش في عصر الصناعة - ومما يبعث على الظن ايضاً بأن الاسلام يهتم بالانتاج الزراعي أكثر وأشد من اهتمامه بالانتاج الصناعي .

إلا ان لهذه الظاهرة عواملها التي اقتضت ذلك ، فان طبيعة ملابسات عصر هذه النصوص (عصر الامام - عليه السلام)

كانت تفرض ذلك فرضاً لأن المجتمعات آنذاك كانت كلها
بمجتمعات زراعية ولم تنتقل الى صناعية إلا بعد الثورات
الصناعية المعروفة كالفرنسية وأشباهها .

ومع هذا كله : اقتضاء وضع المجتمعات بدء الاسلام
وملابسات عصورها الاولى لم يهمل الامام عليه السلام التأكيد
على الانتاج الصناعي بما رمز اليه ~~عليه السلام~~ في عهده الخالد وفي
غيره من كلامه القيم ، وبما أفادته النصوص العامة التي أمرت
الدولة والزمتهما باعداد ما يفرضه ويقتضيه تنظيم المجتمع
وتطوراته .

أما كيفية توفير وسائل الانتاج وتهيئة الكميات والانواع
الكافية منها ، فترجع الى طبيعة الظروف والملابسات الزمنية
للأمة ذلك ان الأساليب ومجالات التطبيق هي من النظام
الذي تضع مخططاته الأمة بأيدي أمنائها على ذلك ضمن اطار
الأحكام الاسلامية العامة . والذي تعينه وتحدده مقتضيات
وملابسات الاحوال والوضعيات الزمنية للشعوب .

٣ - الضمان الاجتماعي :

ويعالج الاسلام المعطى الثالث من معطيات انتشار البطالة
(وهو قلة وجود العمال) عن وسيلة (الضمان الاجتماعي) ..
والضمان الاجتماعي : هو الزام الدولة باعالة أو سد عوز
من لا يقوى على العمل ومن لم يعمل لعذر مشروع وليس له
معييل .

وفي عقيدتي : ان هذا التعريف أقرب انسجاماً ومفهوم الضمان الاجتماعي وأصدق انطباقاً على واقعه بعد تبلور معناه ، وتطور فكرته في القانون والاقتصاد وعلى الصعيد الدولي الى الارتكاز (على مبدأ جبيري هو ان حماية المواطنين ضد المخاطر هو حق لا منحة)^(١) لأن جملة من تعاريفه يكثر فيها الخلط بين مفهومه ومفهوم التكافل الاجتماعي .. ولأن البعض منها يضيّق دائرة شموله ويقصرها على ضمان العامل فقط كالتعريف الذي يقول : (والذي يقصد منه ضمان العامل ضد الاخطار الذي تصيبه فتفقدته عمله)^(٢) وبذلك يفقد الشمول الذي تقتضيه طبيعة العدالة الاجتماعية .

وقد قرر التشريع الاسلامي الأقدس مضمون هذا التعريف حقيقة تتفق وواقع الموضوع الذي تدور حوله بحوث اليوم ، قرره قبل أربعة عشر قرناً ، مما يحق لنا الآن ان نتحدى به الذمنيات العلمية التي تندفع بزواجها من ايدولوجياتها السياسية الملتوية مبتعدة عن الاسلام .. نتحداهم فخورين بواقعية الاسلام الحق ان يميثونا بأكمل من تشريعاته في هذا المجال وفي غيره من المجالات .

ولعل أهم خصائص الضمان الاجتماعي من جهة نظر التشريع

(١) يلاحظ : أنور الخطيب ، النزعة الاشتراكية في الاسلام (بيروت دار العلم للملايين) ، ص : ٢١٧ .
(٢) ينظر : صبري محمد حسن ورفيقه ، ١٠ : ٣٩ .

الاسلامي التي يفترق بها عن الأنظمة الأخرى هي : اعتباره
حقاً « من حقوق الانسان التي فرضها الله تعالى » ، ويترتب
عليه : انه « بوصفه حقاً انسانياً لا يتفاوت بين
والمستويات المدنية » و « يختص بفئة دون فئة » (١) .

والضمان الاجتماعي أسباب وشروط في وجوبه على الدولة ،
تشير اليها تحديدات وتقييمات التعريف المذكور .

وقد أشارت اليها أيضاً المادة الخامسة والعشرون من وثيقة
اعلان حقوق الانسان بقولها : (لكل انسان الحق بالضمان
في حالة البطالة والمرض والمعجز والترممل والشيخوخة وفي
الحالات الأخرى التي يفقد فيها المرء وسائل معيشته لأسباب
خارجة عن ارادته) (٢) .

أما من لم يعمل حياً بالبطالة وهو قادر على العمل وكانت
فرض العمل ووسائل الانتاج مهياًة امامه فليست الدولة
بمسؤولة عنه (لأن أمثال هؤلاء يعتبرهم الاسلام أغنياء
ويحرمهم من هذا الضمان . والغني في عرفه من كان يملك قوت
سنته أما بالفمل أو بالقوة ، وهؤلاء يملكونها بالقوة لقدرتهم
على العمل وتوفره لديهم) (٣) .. وفي الحديث عن الامام

(١) يقرأ : محمد باقر الصدر ، الانسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية
(النجف : سلسلة المدرسة الاسلامية - ١) ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) أنور الخطيب ، ص : ١٤ .

(٣) محمد تقي الحكيم : « الامام علي في عدالته الاجتماعية » مجلة النجف ،

١٣ (١٦ ايلول ١٩٥٧) ص ١٩ .

الباقر عليه السلام ما يلقي الضوء على المعنى : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحمل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ولا لخرث ولا لقوي . قلنا : ما معنى هذا ؟ قال عليه السلام : لا يحمل له ان يأخذها وهو يقدر أن يكف نفسه عنها) .

أما غير هؤلاء فقد الزمت الدولة في التشريع الاسلامي باعالتهم بما يضمن لهم حاجاتهم وكراماتهم .

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (.. الله ، الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم ، من المساكين والمحتاجين ، وأهل البؤسى والزمنى ، فان في هذه الطبقة قائماً ومعتراً ، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صواني الاسلام ، في كل بلد ، فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى ، وكل قد استرعت حقه) ثم يقول عليه السلام : (وتمهد أهل اليتيم ، وذوي الرقة في السن ، من لا حيلة له ، ولا ينصب المسألة نفسه ، وذلك على الولاية ثقيل ، والحق كله ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم) .

قبيل هذا يضع الامام عليه السلام التأكيد الكثير على الاهتمام الشديد والاعتناء التام بالقيام بأداء هذا الحق فيقول : (ولا يشغلشك عنهم بطر ، فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصغر خدك لهم) .
فيرينا عناية الاسلام الشاملة وعموم تشريعه العادل لكل فرد

فرد، ولكل فئة فئة . وطبقة طبقة . وحسب هذه النصوص بما أبرزت فيها مديلتها من صيغ الأسر ... الزام الدولة بالقيام بهذا الحق متمثلة بشخص القائم على الحكم ، وهو هنا (مالك الاشر) والى الامام عليه السلام على (مصر) الذي وجه اليه هذا الخطاب .

وليس هذا فقط بل أكد الاسلام أكثر وأوسع فالزم الدولة بانخاذ شتى الأساليب المشروعة لتفقد أحوال أمثال هؤلاء كأن تؤلف اللجان وتشكل الهيئات فترفع التقارير الى المسؤولين عن رعايتهم ليقوموا بما يصلح شأنهم ويرفع من مستواهم المعيشي الى مستويات الحياة الكريمة ..

إذ ربما كان فيهم من لا يقوى على الوصول الى المسؤولين أو من يخشى ذلك أو من يمنع منه ، وما اليها من أسباب تحجز بينهم وبين المسؤولين .

يقول الامام عليه السلام : (وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ، ممن تقتمحه العيون ، وتحقره الرجال ، ففرغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرجع اليك أمورهم) .

ويؤكد بعد ذلك على الالتزام التام بالقيام باداء هذا الحق لأمثال هؤلاء المستحقين .. فيقول : (ثم اعلم فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلاقاه ، فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأديته حقه اليه) .

وليس هذا فقط بل « اضاف الامام - فيما يحدث المؤرخون - فوضع بيتاً سماه (بيت القصص) يلقي فيه الناس رقاعهم لتحمل حاجاتهم الى الامام » (١) ليرينا كيف تعمل الدولة الاسلامية في تطبيق انظمتها الانسانية متخذة كل الأساليب المشروعة لذلك ..

وهذه الاساليب - كما تقدم - هي في الواقع من الانظمة التي تضمنها الدولة على يدي أمناء الامة من خبراء واختصاصيين ، وفقاً لمقتضيات ومتطلبات الظروف والأحوال وضمن اطار الاحكام الاسلامية العامة .

أما مقدار ما يعطى الفرد من الاصناف المستحقة للضمان ، ومن أي الموارد ؟؟ فالاسلام يحتم على الدولة « ضمان مستوى من العيش المرفه الكريم للجميع من موارد ملكية الدولة الملكية العامة وموارد الميزانية » .. وقد جاء في الحديث : « ان الوالي يأخذ المال فيوجهه الوجه الذي وجهه الله له على ثمانية اسهم : للفقراء والمساكين والعاملين عليها وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، ثمانية اسهم يقسمها بينهم بقدر ما يستغنون في سنتهم بلا ضيق ولا تقية ، فان فضل من ذلك شيء رد الى الوالي وان نقص من ذلك شيء ولم يكتفوا به كان على الوالي أن يموتهم من عنده بقدر سعتهم حتى يستغنوا » (٢) .

(١) محمد تقي الحكيم ، المصدر السابق ، ص : ١٩ .

(٢) محمد باقر الصدر ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

وتقوم الآن بتطبيق نظام الضمان الاجتماعي بعض الدول
الاسلامية منها المملكة العربية السعودية ودولة الكويت .

٤ - التكافل الاجتماعي :

وتتفرع على وسيلة الضمان الاجتماعي في رعاية شؤون أبناء
الامة والعناية برفع مستويات حياتهم المعيشية الى درجة الحياة
الطيبة الكريمة ، وسيلة (التكافل الاجتماعي) .
ويقصد به - هنا - الزام المسلمين كافة باعالة الأصدقاء
الذين تقدم ذكرهم في موضوع الضمان الاجتماعي ، أمثال الزماني
والبؤسي وأهل اليتيم ، وسد النقص المعيشي لديهم ، عند عدم
قيام الدولة باعمالهم أو سد نقصهم لعدم اطلاعها على حاجتهم
او لأي سبب آخر .

الوسيلة التي شرعها الاسلام الحنيف للاحاطة التامة
والاطلاع الشامل على كل نواقص أبناء الامة من الذين لا يقوون
على سدها أو اتمامها ، اذ ربما كان في هؤلاء من لم يصل أمر
فقره وحاجته الى المسؤولين في الدولة .

ويترتب عليه : انه لو وجد شخص من اولئك المستحقين
للكفالة الاجتماعية ولم يؤد حقه اليه ، وذلك بأن لم يقم أحد
من المسلمين ممن يعلم بفاقته باسعافه ومساعدته وهو قادر على
ذلك يأثم جميع الذين علموا بحاله من المسلمين لأن كفالة حياته
وانقاذها من فقرها الفعلي فرض (كفاية) يكلف به المسلمون
كلهم ، فتمت امتثل بعضهم وقام بأداء هذا الحق المفروض سقط

التكليف عن الجميع لتحقيق الغرض من تشريعه والالتزام به ،
ومنى تقاعس الكل عن امتثال هذا الواجب الانساني أثموا
جميعاً .

ومن النصوص الكريمة في هذا الموضوع :

١ - من كان عنده فضل ثوب فعلم انه بحضرتك مؤمن
يحتاج اليه فلم يدفعه اليه أكبه الله في النار على
منخريه .

٢ - ما آمن بي من أمسى شعباناً وأخوه المسلم طاور .

٣ - ما آمن بي من أمسى شعباناً وجاره جائع .

٤ - ليس منا من بات شعباناً وجاره جائع .

٥ - ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شعباناً وجاره
جائع .

٦ - أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه وهو يقدر
عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوداً
وجهه ، مزرقة عيناه ، مغلولة يداه الى عنقه ، فيقال : هذا
الخانن الذي خان الله ورسوله ، ثم يؤمر به الى النار .

وفي امثال هذه الأحاديث الشريفة من نصوص التكافل
الاجتماعي ظاهرة بينة وهي لهجتها الشديدة في اعطاء النتائج
وترتيب الأحكام على من يخالف هذا الواجب المقدس ..
بالاضافة الى النصوص الأخر التي تفرض التعاون والتماسك
الاجتماعيين بين المسلمين وتحث عليهما حثاً بالغاً لأنها الدعامتان

الاساسيتان في نجاح التنظيم الاجتماعي وتأديته دور
والتي تبلغ من العدد كثرة هائلة .. أمثال : -

- ١ - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (١) .
- ٢ - ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص (٢) .
- ٣ - انما المؤمنون اخوة (٣) .
- ٤ - المسلمون تتكافأ دماهم ويسمى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .
- ٥ - المؤمن! للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .
- ٦ - كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته .
- ٧ - مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتماطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .
- ٨ - المؤمن أخو المؤمن .. كالجسد الواحد ان اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده .
- ٩ - انما المؤمنون اخوة .. بنسب وام .. واذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون .

(١) الآية ٢ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٤ من سورة الصف .

(٣) الآية ١٠ من سورة الحجرات .